مجموعة قصصية

سيناريو

إيناس عادل مهنا

دار أركان للنشر

حقوق النشر محفوظة

دار أركان للنشر

فريق عمل الكتاب

تقييم / ابراهيم مصطفى
تدقيق / سماح خليفه
مراجعة لغوية / علي زينهم
غلاف / محمد علي
تنسيق عام / أحمد سامي

للتواصل معنا

DarArkan6
01022926606
dararkan6@gmail.com

مدير عام
ريهام محسن

رئيس مجلس الإدارة
أحمد سامي

الإهداء

إلى من أخبرني ذات يومٍ: تمسكي بذلك الخيطِ الرفيعِ من الأمل

لعلَّ الحلم يتحققُ يوماً ما ..

المقدمة

لا تحدثني عن الحبِّ إنْ لم تكن غارقاً به, بل حدثني عن وحدتكَ, سأصدقكَ حينها أكثر..

إياكَ أن تخبرني عن رونق المطر ورائحته حينما يقّبلُ حجارة الأرض وأنت جالسٌ أمام مدفئتك تحتمي من قطراته، بل افتح بابك واخرج إليه, افرد ذراعيك واستقبل قبلات قطرات المطر على جسدك... أركض تحت قطراته الندية لتبتلَ ملابسك بالكامل وحينها فقط... لو أخبرتني بأنَّ المطر رائع سأصدقُ حروفكَ.

فالكلمة الصادقة هي من تلامسُ القلب مباشرةً وتخترقه دون إنذار ..

لربما تظنّها مجردُ حكايةٍ كتبتها..

لكن..قد ينزفُ الورق ذات يومٍ من قسوة الواقع, قد يئن من آلام أصحابه ..

وبالنهاية, الأدب هو مرآة الواقع, انعكاسٌ لهواجسنا وتجاربنا وآلامنا وآمالنا..

هنا تجدون بعض القصص التي كتبتها منذ عامين حتى الآن.. منذُ أن صرخَ القلمُ بين يدي (اكتبي)..لعل حُلمكِ يتحقق..

سيناريو

لا تنظري إلى السماء يا صغيرتي

فلن تبكِ لأجلك.

بآخر هذا الزقاق الضيق يقبع منزلك المتهالك ذات الجدرانِ المبنيةِ من الطوب، تتلصص أشعة شمس حزيران الحارقة من نافذة غرفتك كلصٍ نحول لتنير عتمة بقايا قلبكِ المظلم، وها أنتِ ذا تتطلعين في مرآتك العتيقة بنظرات خاوية الملامح، الكحل الأسود يرتسم بخط عريض فوق جفنيكِ محدداً مسارات اقتادوكِ عليها مرغمة، ودموعكِ حبيسة زنزانةٍ صدئةٍ تنذر بالثوران، وفمٌ كرزيٌ يجاهدُ لرسم ابتسامة نهايتها الهلاك، سيكون اليوم مميز جدًا بالنسبة إليكِ، هذا ما أقنعوكِ فيه أو أوقعوكِ داخله!

بشرتكِ ورغم تلك المساحيق ذابلة، جسدكِ الأبيضُ فارقته الروح منذ زمن، ومن خلفك تلك العجوز السبعينية تحدق بتفاصيلك بازدراء وهي تمصمص من كوب

العصير بشفتيها المترهلتين المجعدتين، تحاولينَ تجاهل نظراتها المتفحصة قدر الإمكان وهي تتمتم بتململ لجارتها:

ليرحمنا الله على بنات هذا الجيل، لا يعجبهن شيء! في زماننا كانت البنت تذوب خجلاً في مثل هذا اليوم

فتومئ الأخرى مؤيدة كلامها وهي تلوي شفاهها بامتعاض.

تقرصكِ إحدى بنات الجيران من ساعدك مقهقهة فتتأوهين ألماً، تصرخ بمرح وهي تحمل الكاميرا لتصويرك:

-وقعتي على دلوٍ من ذهب... يا لحظك

تنظرين إليها وتواجهينها بجمودٍ ثم تهزين رأسكِ وضحكة ساخرة ترتسم على شفاهك:

-نعم، لضخامته أصبح قبراً من الثروة

- كفاكِ تذمراً وابتسمي...

* كلييك *

مراهقة جميلة كنتِ، تنظرين إلى واجهة هذا المكتب الكبير ثم تخطين داخله... بضفيرتين ناعمتين تنسدلان فوق كتفيكِ، ببذلة المدرسة المتوسطة وكلماتٍ خجولة تنطقين بها لهذا الشاب الذي اتسعت ابتسامته فور دخولك:

-أريد أربع صور للمدرسةِ رجاءًا.

يتقدم منكِ بخطى ثابتة وعينين تعرفان معنى الجمال المتجسد أمامه، يقول بافتتان:

-تفضلي من هنا.. آنستي الصغيرة.

تدحجينه بنظرة استنكار، فأنت لست صغيرة البتة، ها قد أكملت الخمسة عشر ربيعا منذ شهرٍ كامل وأصبحتِ كما تقول والدتكِ دائماً "عروسٌ تنتظر النصيب".

تتوقفين في مكانك استعداداً وخلفك الخلفية البيضاء، يتقدم منكِ لتصحيح جلستك ويرفع وجهكِ بأنامله... رعشةٌ خفيفةٌ تنتاب جسدكِ عندما تتقابل نظراتكما لبرهة، عيناه بلون العسل المصفى، أما عينيكِ الواسعتان فيذوب فيهما من اللحظة الأولى كمن وقع ببئرٍ عميقٍ من السكر، لا يدري هل يستلذ به أم يهرول

خارجاً خشية الغرق، ثم يتنحنح ارتباكاً ويهرب إلى عدسته، يخفي وجهه و تنهيدةً عميقةً خلفها ويقول:

-ابتسمي....

كلييك

بعد يومين كاملين تذهبين إليه، تتوقفين على بعد عدة أمتار من مكتبه وبحركةٍ تلقائية تفضين الضفيرتين لينساب شعركِ الطويل المجعد على كتفيكِ كشلال من النبيذ الأحمر لا تدرين سبباً لفعلتك ولا تهتمين لمعرفة الأسباب فهي لن تفيد بشيء، فور دخولك تسري كهرباء لذيذة بجسده فينتفض واقفاً ليجيب:

-صوركِ جاهزة آنستي"

يسلمكِ المظروف بعد أن أخفى نسخةً خامسةً يحتفظ بها في قلبه قبل محفظته، تتفرجين على الصور وتبتسمين:

-شكراً، إنها جميلة"

يقول في سره: الجمال هو من يتجسد أمامي الآن"

في حين تنطق شفاهه بإجابتك: عفواً"

تتحركُ أصابعه فوق طاولة المكتب ويطرقها بتوتر، قبل أن يباغتكِ بكلماته:

بالمناسبة إسمي آدم، أعمل كذلك مصور أعراس إن رغبتِ في أن .."

تنقدينه أمواله مقاطعةً سيل كلماته الجارف: لا أظننا نحتاج مصوراً لأعراسنا أيها السيد .. عن إذنك "

تفتحين باب المكتب لتخرجي لكنه يسبق خطواتكِ الصغيرة ويغلقه بيده، ينظر إلى عينيكِ الواسعتين ويقول بثقةٍ كبيرة:

- ستكون من التقاط يدي أول صورة لكِ... في فستانكِ الأبيض يوم زفافك، لن أسمح لأحد غيري بتصويرك هذا وعدٌ مني

بجانبكِ مباشرةً صراخ الرضيع يتلوى حزناً على مآلك وأختكِ الكبرى تغني له لإسكاته بيأس، ترتسمُ ابتسامة سخريةٍ أخرى، تحاولين وأد أحاديث نساء الحي من حولك، ولا تفقهين سبباً لانحشارهن بغرفتكِ الضيقة الآن! تتحاشينهن وتعاودين النظر عبر المرآة إلى اللا مكان، يا إله السموات كم تغيرت ملامح هذا الوجه، كانت

المرآة أمامك لكنكِ لم تكوني موجودة بداخلها، انفصلتِ عن واقعكِ وحلقتي بعيداً إليه.

إلى آدم...

لآخر مرة تقابلتما فيها عند المحطة، شفاهه تنطق بألف عذر وسبب.

ونظراتك ترتكز على وجهه المضطرب ويديه المرتعشتين، كان يائساً تعيساً ومحبطاً، استطالت ذقنه وتبعثرت خصلات شعره الأسود ورائحة التبغ المنبثقة من فيه تكاد تسحق جميع من حوله، كان صامتاً صمت الجبال وبعينيه العسليتين ينظر إلى الخواء أمامه، أولستِ أنتِ الخواء الآن بالنسبة إليه! أوليس البشر من حوله جميعهم خواءً بهذه اللحظة؟

يقبض على حقيبةٍ سوداء والقطار خلفه أصبح نافذة انطلاقه للعالم الواسع بعد أن سحقه والدُكِ بقرارات رفضه المتكرر بحجة الفقر.

الصمت بينكما يصرخ بعنف، والسماء ستبكي...

حتماً ستبكي على حالكما الآن، هذا ما كنتِ تشاهدينه دائماً في الأفلام، لحظة وداع عاشقين تحت حُبيبات المطر المتساقط، كم هي نهايةٌ دراميةٌ رومانسيةٌ حزينة.

ترفعين رأسكِ إلى السماء، لكنها صافية!

تتسائلين بخوف: أيعقل أن السماء لا تشعر بتلك النار التي تحرق فؤادي من الداخل؟ نعم ياعزيزتي ـ لا تشعر ـوكل من حولكِ لا يشعرون، أهلا بكِ إلى أرض الواقع حيث تتحطم الأحلام والآمال وتتبعثر إلى أشلاء صغيرة.

تغمضين عينيكِ وتناجينها بخفوت وتوسل "اهطلي لتطفئي لهيب الجحيم الذي يحرق فؤادي"

وانكفأت نظراتكِ ترتكز عليه ، على صدره الذي راح يطلق تنهيداتٍ عميقةٍ متلاحقة، تنتظرين منه أن ينتشلكِ ويهرب بكِ بعيدًا نحو الأفق، لكنه الآن جامدٌ كالحجارة الصماء، يتملكه الغضب أكثر من الحزن ويفجع قلبه أن يتركِ وحيدةً ويرحل لكن ما من خيارٍ آخر، يريدون الأموال وها هو ذا سيسافر لجنيها.

تعلقت عيناه على وجنتكِ التي تعلوها زرقةً طفيفة، تلمسها قائلاً بعجز: ضربكِ مجددا !؟

فتصمتين لأن الإجابة واضحةٌ لكليكما،

تمردتِ على عاداتك متجاهلةً كل من حولك وارتميتي على صدره، شعرتِ بتشنجِ أطرافه حين أفلتت الحقيبةُ لتسقط أرضاً،

-لا تصعبي الأمر رجاءًا" يهمس آدم برجاء، بإشفاق، بيأس، بتوسلك متجاهلا تمتمات الاستنكار خلفه وحوله، لكنك تعلقت به أكثر، حار بأمره من عذابك وظلت يده معلقة في الهواء، يشيح ببصره عنكِ محارباً ضعفه وعجزه في الانقيادِ نحوكِ من جديد، تحركت يده بتلقائية رافضة أوامر عقله، فطبطب بألمٍ على كتفيكِ مواسياً لك ولربما مواسياً نفسه، تعلقتِ بقميصه أكثر، أطلقتِ العنان لدموعٍ التهبت في مقلتيكِ: لا تتركني رجاءًا "

لن يستطيع صبراً على فراقك هو موقنٌ من حتمية الأمر وموقنٌ من هلاكه بعيداً عنكِ ، وموقن كذلك من هلاككِ على يدي والدكِ وانتِ قريبةٌ منه، دوامةٌ بشعةٌ جداً غرقتما فيها لا سبيل للخروج منها سوى هروبه

-سأموت بابتعادكَ عني" تقولينها وتتوسلين مجدداً، أما هو فتمردت يده الثانية، حاوطكِ بين ذراعية بعنفٍ وشوق، كلعبةٍ صغيرةٍ ضعتِ بين يديه، وهمسَ لكِ بصوتٍ شبه موؤود:

- كنتِ حلماً جميلاً جداً فيما مضى لكنه بات صعب المنال"

رفعتِ بصركِ تجاهه، تنتظرين منه أن يبوح بالمزيد، فهاتان العينان تحملان مئات الأسرار كصندوق الخبايا، لكنه اكتفى بالصمتِ والوجوم، بعد صراعٍ بين قلبه

وعقله حرر جسدكِ من قيد يديه اليائستين مطلقاً سراحك و انتظركِ حتى تبتعدين عنه ببطئ، وها قد انسلختِ عن صدره أخيراً، تتأملين قميصه الأبيض الذي تلطخ بدموعِ الرحيل، مسحَ آخر دمعةٍ من عينيكِ بيديه المرتجفتين ثم همسَ بخفوت:

آسف، ما كان الذنب ذنبي.."

لم يكن ذنب أحد منكما، سوى أن الحياة أرادت أن تلعب

وكنتما تسليتها الوحيدة.

قبض آدم على يدكِ الرقيقة المستقرة على صدره، رفعها إليه ولثمها قبلةَ انكسارٍ، اشتم عبيرها لآخر مرة قائلاً: لربما أعود وحينها سأكونُ رجلاً آخر، لن يستطيعوا رفضي"

-سأنتظركَ حتى نهاية الزمان "

تجيبينه بثقة عمياء وكأنكِ المسؤولة الوحيدة عن تحديد مصيرك، شعرَ براحةٍ طفيفةٍ كاذبة لوعدٍ واهن هو موقن من انعدام تحقيقه ثم حمل حقيبته وخطى راحلاً، ابتلعه باب القطار ليهربَ إلى البعيد، تركِ وحولكِ مئات البشر يسيرون بجنون، وتوقف الزمان بكِ عند هذه اللحظة.

لحظةَ وداعٍ في المحطة.

يصلح بامتياز أن يكون اسم فيلم لن يشاهده سوى من هم في مثل وضعك وسنك من عشاق الدراما والرومانسية الحالمة

وها أنتِ ذا تصورين فيلمك الخاص بطريقةٍ دراميةٍ مفجعة، تدوي صفارة القطار ليعدو بعيدًا عنكِ فتركضين نحو نافذته.

بومها شاركتِ البشر رقصتهم المجنونة في العدو.

كنتِ تركضين بقوة وسرعة لتجاري ابتعاده وكأن مئات الشياطين يتراكضون للظفر بك.

ورحل آدم..

أصبح نقطةً صغيرةً جداً اختفت في الأفق فوق السكة الحديدية لحظة الغسق، وها قد كتبت النهاية بخط عريض جدًا، كي تقرأيها، كي تتأكدي من مصداقيتها ووضوحها كوضوح شمس النهار.

لقد رحل فعلا"

تركتِ الكون الواسع ورائك وعبرت داخل الزقاق الضيق بقدمين لا تقويان على المسير، تتلمسين حوائط حارتكِ العتيقة المهترئة وتدخلين المنزل الذي كرهت جدرانه وساكنيه ورائحة العطن المنبثقه من أثاثه، ألقيتِ نظرةً عابرة تجاه والدك،

فرعون هذا الدار والقوة المسيطرة على مجتمعكم المكون من ثلاث فتياتٍ أو عقبات، ووالدتكِ السلبية بكل قول وفعل، تجلس مكسورة الجناح تحت قدمي الفرعون الأعظم.

صرخ بحدةٍ وعنفٍ وهو يسحقُ شعركِ تحت وطئ قبضته الغليظة: أين كنتِ يا فاجره"

ترفعين رأسك بيأس بعيون قد أسكرها البكاء وتتجاهلين غضبه الجامح ولأول مرةٍ لايقوم بضربك، بل يقوم باعتصار تلك الورقة الصغيرة بين يديه ويرميها أرضاً، آخر رسائل آدم قبل الرحيل تمزقت وانسحقت الآن كروحك تماماً، ابتسم والدك بانتصار فها قد نجح في إبعاد آدم عن روحه، توجهتي مباشرة ناحية غرفتك، موطنكِ الصغير الدافئ الذي يخبئ ملايين الأسرار بات الآن كقبرٍ باردٍ موحش الأركان، ارتميتي على السرير تنتحبين كأمٍ ثكلى تندبين على حُبٍ دام لأربع سنواتٍ كاملة، أربع سنوات تجرعتِ فيهما لذة العشق لأول شاب يطرق باب قلبكِ الصغير، ويطرق باب منزلك الكبير تأكيداً على صدق نواياه ومشاعره ليرفض والدكِ مطلبه بكل قسوةٍ وتجبر، مرة واثنتان وثلاث

-لا نحتاج من يزيد فقرنا وبؤسنا، تستحقين الأفضل والأغنى"

يقولها بأمر لينهي قصة حب حالمة طموحة جامحة، لكنكِ لا تستسلمين.

شرعتِ تقابلينه سراً في الإنعطافة التي بنهايةِ الزقاق، يتأججُ لهيب الشوق في قلبكِ الذي بدأ بالنضوجِ على يديه، يسترقُ من وجنتيك قبلةً شقية خجولة من حينٍ لآخر ويعدكِ بمستقبل جيد لكليكما، وفي آخر لقاءٍ معه، يكتشف مخبأكِ الفرعون الأعظم_والدك_، فتتعاظم الكارثة بآلامٍ روحيةٍ وجسدية تهطلُ كأمطار آذار على جسدكِ الهش فيتلون بعدها بألوان قوس قزح الدامية، يفصلكِ عن العالم والدراسة والأصحاب، تثورين وتهمدين كنيرانِ حرائق الغابات، تنتحبين وتثورين مجددا، لكن بلا فائدة، ففي رسالة آدم التي عبرت إليكِ عن طريق أختك الكبرى ذلك اليوم، تفضها بلهفة وشوق وتقرأين المكتوب لتصاب أطرافك بشلل الفاجعة، تصرخين بعنفٍ راميةً الورقة على الأرض ورامية كل ما ورائكِ وتركضين للحاق به... نحو المحطة"

(آسفٌ على حبٍ كان مآله الفناء... سأسافر اليوم عند الساعة الخامسة مساءًا، هربا من كل شيء...

آدم)

ليلة رحيله غفوتِ على أنغام تكابد الساعة المتزامن مع شهيقكِ المكتوم ورحتي بسبات عميق لربما لساعات... لربما لأيام، لربما لعدة أشهر فلم تعودي قادرةً على احتساب الزمان، تقفين على حافة الهاوية، على خيطٍ رفيع جدًا بين الحياة والموت، تصرخين وما من مجيب، تحلمين.. وفي كل مرة ترحلين إليه، لصدره الدافئ ونظراته العميقة، ويقول لك في كل لقاء: سأعود أميرتي... ولأجلك "

وهاهو قد عاد، تركضين إليه بشوق وتصرخين:

-كنت أعرف... كنت موقنة من عودتك"

يطرق باب غرفتكِ بعنف فتنتفضين بفزعٍ، لتعرفي أنكِ على أرض الواقع مجددًا حيث الأحلام مبعثرة كأشلاء كيانٍ على قارعة الطريق.

-حتى حلاوة الأحلام قررتم حرماني منها" تقولينها بغضبٍ لوالدتك المنهزمة على الدوام فتجيب بلا مبالاة:

-انهضي يريدونك"

كأمرٍ عسكري تنطقها، وكانصياعٍ تامٍ لأوامر القائد الأعظم تستبدلين ملابسكِ و تنجرين ورائها ناحية الصالة، الجميع كان هناك، يتشاركون مضغ أحلامكِ وبصقها،

من هم؟ تتسائلين بخوف، بجزع، بارتباك، فتسكت والدتك تساؤلاتك وهي تضع بين يديكِ صينية القهوة المزركشة الخاصة بالضيوف، تنظرين إليها بصدمة قد تكررت كثيراً مؤخراً، تهزين رأسكِ برفضٍ كما هي العادة منذ رحيله لكنها تصر على دفعكِ إلى الأمام، اضطراب يعلو ملامحكِ وغصة تكاد تسحق حلقك الجاف، تتجاوزين عتبة باب الصالة وتتقدمين منهم بقدمين كالهلام وسط نظراتهم المتفحصة، زوجين مع ابنهما الشاب ذو الثلاثين عاماً.

واحداً تلو الآخر تقدمين لهم القهوة حتى صرتي قبالته، قبالة العريس (حسان) تعيسِ الحظ الذي ستقومين بمحاربته بكافة أسلحتكِ كما البقية، تنحنين أمامه وتقولينها بلا روح:

"تفضل"

ينظر إليكِ باهتمام، ثم تنفرجُ شفتيهِ عن ابتسامةٍ خبيثةٍ وهو يتناول فنجان قهوته:

-شكراً آنسة أمل "

أمل! يااااه، وكأنها المرة الأولى التي تسمعين فيها اسمك،

-أي أملٍ في حياةٍ لا أمل فيها لحريتي ورأيي"

تهربين من أمامهم فوراً، بداخل الحمام تتقيئين مافي جوفكِ من خواءٍ وعجزٍ وضعف.

صوتُ والدك الجهوري يرتفع من خلف باب الصالة قائلاً: إذن على بركة الله"

وتعودين للواقع مرةً أخرى، زغرودة عالية انطلقت من خلف الأبواب المغلقة تلاها صراخُ موكب نعشك:

-جاء العريس جهزوها"

سكتَ الرضيع الآن فلا مجال للاحتجاج أكثر، ولربما صراخهم القادم من بعيد كجيوشٍ تتقدمُ فوق ساحات الوغى مستعدة لاقتلاع أفئدة المحاربين قد أخرس صوته الصغير، وقفت جارتكِ العجوز من خلفك تهز رأسها كحرباء الصحراء مولولةً بالنسبة لكِ ومزغردةً بالنسبة للجميع وكأنها تقول شامتة: ها قد حانت النهاية"

ونهضتِ أنتِ جاهدةً كبح الدموع بين النسوة، شقيقتك الأخرى تحكم شدّ الكفن الأبيض على جسدكِ الممشوق، وتسدل الطرحة وهي تحذرك:

- ابتسمي فهذه سنة الحياة"

-هل أنا على قيد الحياة حقاً " تتسائلين بحدة وقهر وغضب بعد أن بائت جميع محاولاتك في إبعاد الحرتيت حسان بالفشل، فليس كالآخرين الذين هربوا من جفائك وقسوة تعاملك، كان مقاومًا حتى النهاية

فتح باب النعش و جرّوك ورائهم ناحية الزقاق كنعجة لا حول لها ولا قوة،

يرتلون ترانيمَ الموت على جسدكِ الهزيل

وتقدم العريس بخطى بطيئة لاصطحابك، كان مخفياً وجهه خلف باقة أزهار بيضاء و صفراء، دليلٌ آخر على حتمية موتكِ المؤكد.

يبدأ موكب الدفن وتقرع طبول انتقالك للعالم الآخر،

تسيرين ببطءٍ بجانب حسان الذي يمشي الهوينة وسط الحضور متفاخراً بعروسه، يصفقون فرحًا على صفقةٍ رابحة، للوالد الذي يعد نقود مهرك، للأم التي تصطنع ابتسامة مجاملة للجميع، فهاهو السيناريو يتكرر للمرة الثالثة مع ابنتها الثالثة.

لم تتغير وجوه الحضور.. ولم تتغير ملابسهم أو تسريحاتهم، غير أن العروسين من يتبدلان في كل مرة.

وهاقد حان دورك الآن لإكمال طقوس هذه المسرحية الهزلية، تركبين سيارته الفارهة للانتقال إلى الصالة،

وعلى الزجاج ارتسمت ملامحه ـآدمـ حبيبك الأول والأخير.

-أين عساك أن تكون بعد فراق دام لأكثر من عامين

تتسائلين بلهفةٍ وشوقٍ متناسية ذلك الرجل الجالس بجانبك، فما زلتِ تتأملين أن يعود حتى هذه اللحظة لانتشالك من مأساتك.

-سنتزوج بإحدى ليالي اكتمال القمر، حيث النجوم تكون متألقة في كبد السماء"

يقولها آدم فتضحكين بمرح، حسان الآن يلتصق بك، يحتضن كفك بين يديه ويمضغ اللبان، يقولون أنها تخفي التوتر في لحظات كهذه، تتحاشينه وتتأملين النجوم من خلف زجاجِ النافذة، القمر مكتملٌ والنجوم هاهي تتلألئ في فضاء هذه الليلة السوداء.

ها هي طقوس زواجك كما تخيلتها من قبل، لكن باختلاف بسيط، العريس قد تغير!

تعودين لآدم مجدداً، يحتضن كفك بين يديه فتقولين بسعادة:

-سننجب أربعة أطفال"

-بل عشرة ...أريد أن أستشعر وجود من يشبهونكِ بكل ركنٍ في منزلي الصغير "

وتضحكين مجددا على أيام حبٍ راحت واندثرت خلف ستارة النصيب.

يسألك حسان بابتسامةٍ متوترة :

-ما الذي يضحك ؟

تتنبهين إلى وجوده، تسحقين الابتسامة وتتطلعين إلى تفاصيله الدقيقة الهادئة نسبياً،

تهزين رأسكِ أن لا شيء وتكتفين بالصمت

تدخلين الصالة خطوةً وراء خطوة نحو المدفن الكبير حيث اكتمال طقوس

تقديمك كقربانٍ للشيطان

يقبض على يدكِ بقسوةٍ مرتبكاً.

كانت القاعة مكتظة بالحضور رجالاً ونساءاً يشربون ويتراقصون حول جثمانك،

كعذراءَ ترافينسكي في أوبرا طقوس الربيع فتكونين العذراء المأمورة بالتضحية

ليحيا البقية..

تتوسطان القاعة وتبدآن بالرقص، تشعرين بخيانتك لآدم فتحرقك لمسات حسان

وأنفاسهُ الخانقة رغم أنها برائحة النعناع بسبب اللبان الذي مازال مصراً على

مضغه، تغمضين عيناك السوداوان الواسعتين وتحاولين الانفصال عن الواقع مجدداً،

لعبةٌ صرتِ خبيرة فيها مؤخراً، تنسلين من بين يديه وتعودين لآدم مرة أخرى

لكن مهلاً....

هذه المرة لم يكن آدم حلماً، كان هناك في الركن المقابل، يمسكُ آلة التصوير خاصته ويلتقط الصور التذكارية للحضور، اختنقت العدسةُ بيديه عندما واجهت نظراته العاجزة انكسار روحك.

صراخ صغيرها الراقد في مهده اكتسح عتمة الليل، أغلقت جهاز الحاسوب دون أن تخط النهاية وركضت تجاهه تحمله بحنو بالغ، تجربةٌ مخيفةٌ كانت بالنسبة لها كأول طفل ترزق به، نظرت لعينيه الصغيرتين تهدهد لإسكاته عندما استشعر ذعرها من المستقبل كأم موؤودة الروح ومشاعر ماتت يوم زواجها، أهداها أجمل ابتسامةٍ من كرزيتيه، ضحكت و قبلته بشوق دفين، لامستْ صدره بأناملها لتستشعر ضرباته الناعمة كسيمفونية عشقٍ رقيقة، رغم صغره إلا أنه محور كينونتها وموئلها ورغم ضعفه يبقى مبعث قوتها لمجابهة المستقبل.

قربت وجهها من أنف رضيعها الذي أسمته آدم تخليداً لذكرى حب قديم وهمست له:

-لم يتجسد العشق إلا بك.

أرجعته إلى المهد وسارت بتؤدة ناحية حاسوبها، فتحت الملف مجدداً ونقرت بأصابعها فوق الأحرف لتكتب على صفحة جديدة...

(الصالة الواسعة أضحت غارقةً بالصمت وسط ضجيجها، ومن يتراقصون حولك باتوا اصناماً.

انعدمت رؤية كل ما يحيط بهذا الجسد الساكن الممسك بآلة التصوير، وأصبحت مصطبغة باللون الاسود، وجثةٌ تتنفس بلا روحٍ أمام الآلة، صدقَ حدسه فيما مضى وتجسدَ بأبشعِ صورة لآدم على الإطلاق.

وعلى مرِّ الزمان إحساسُ الخوفِ قد طوته الأيام تحت وطأة الألم لكنه تلاشى بسببِ روحٍ جديدة أهداها لكِ القدر، ترفعينَ بصركِ إلى السماء مشديةً فقد عرفتِ منبع الحبِ الجديد بعد الجفاف..

.

زغرودة حب

طلعت البتراء لتنير أشعتها أرجاء الحجرة الواسعة، نهضت بتثاقل تكفكف بقايا دمو
ع الليلة
الأخيرة..

ونظرت حولها عله يكون حلماً، وتراه مجدداً، انتعلت خفاً، وفرش البساط في حدي
قة المنزل الخلفية وحضرت بضع شطائر ونادت بصوت متهدج: الفطور جاهز
لكنه لم يسمعها؛ ولن يلبي النداء بعد الآن.

ثلاثون عاماً قضتها تبسط الفراش صباحاً، تحضر طعام الفطور بحب وتناديه، فيتقد
م منها

ويلثم جبينها قبلة شكر وامتنان، ويجلس بجوارها، يتحدثان ويثرثران بأي شيء وبك
ل شيء ثم يغادر إلى حقله، فلاح بسيط تزوجته طفلة صغيرة كانت حينها، أعجبتها

عضلاته الجلية ووجهه الذي لوحته أشعة الشمس اللاهبة، عيناه العسليتان وابتسا
مته التي لا تفارق محياه،

ثلاثون عاماً أذاقها حلاوة الحب والطمأنينة، لربما لم يتمشيا تحت حبيبات المطر، لر
بما

لم ينظم فيها قصيدة عشق واحدة، ولم يسرق قبلة منها في ظلام السينما، لكن الح
ب أعمق

وأطهر من كل تلك السخافات التي تروج لها وسائل الإعلام، وها هو قد رحل تار
كاً ذكرى طيفه يداعب أحلامها التي وأدها قصف طائراتهم الغادرة، ذلك اليوم أ
عدت الغداء كعادتها

واتجهت لأرضه تناديه، وسط جنتهم الخضراء الممتلئة بأشجار الزيتون، لوح لها من
بعيد فأشرقت وركضت نحوه، صوت هادر حلق فوقهما ورمى بحمله عليه، جزعت
وهرعت ناحيته، كان ممزق الأشلاء، مبعثر الأوصال، روت دماؤه شتلات الزيتو
ن لتزهر نصراً بعد هلاكه، وقفت بشموخ وأطلقت زغرودة طويلة خالطت سيل
دموعها، شربت كأس ماء لتروي ظمأها، لكنه كان أجاجاً بعد رحيله، غادر وأ

خذ معه حلاوة الماء كهروب حلاوة كل ما حولها، ودوى صوت قوي؛ هالها أز يز الرعد، فنظرت إلى السماء تتمتم؛ لربما تود مشاركتي بكاء فقدك.

لملمت أغراضها على عجل، وخطت لداخل الدار، كان أثاثه بسيطاً، لكنه جنة حبها الخالد، دوى الصوت مجدداً ليرتد على أثره الصخب خارجاً، لم يكن رعداً هذه المر ة، بل القصف، الغارة التالية ها قد بدأت ملحمتها، واهتزت أركان المكان فسجد ت صارخة؛ حان دوري.

شكراً أمي

لست ضعيفاً يا أمي..

أنا يائس، يائس من المستقبل، يائس من الماضي الذي لا ينفك يلاحقني أينما حللت كوصمة عار متلازمة لي منذ الطفولة، كنت أتوراى بعيداً عن الجميع في مخضعي كي لا أستمع إلى انتقاداتهم الجارحة طيلة الوقت عما بي، أخوتي أتخذوا مني أداة للتسلية والهزل ولا يفقهون أن كلماتهم في كل مرةٍ كالنيران تتوقد داخل صدري، ولا أستطيع الرد حتى ينفجروا ضاحكين مجدداً.

لم أكن ضعيفًا فيما مضى، لكنكم حطمتم حياتي... كنت متألماً من معاملاتكم الهازئة طيلة الوقت، من همزات الضيوف والجيران والأقارب، من صديقاتك ذوات العقل المحدود اللاتي يقنعونك بأن عاهتي سيئة, شيطانية ولربما هو سحر من امرأة حاقدة عليكِ.

ليس ذنبي أني خلقت واللعثمة ملازمة لكلماتي... ليس ذنبي ولم تتفهمي ذلك الأمر لبساطة تفكيرك.

ما زلت أذكر سنتي الدراسية الأولى في الإبتدائية كيف انزويت خجلاً من التحدث مع أحد زملائي كيلا ينالني ما ينالني في المنزل من استهزاء، ظللت صامتاً جالساً في آخر مقعد كالشريد ، حتى اقتربت المعلمة وصاحت بي:

- ما اسمك؟

وقفت بارتباكٍ أمامها، بخوفٍ استعمر جسدي الصغير من نطق حروفٍ تائهة كما العادة, والعيون معلقة علي، حاولت نطق الحروف بشكل متزن... ولكن ككل مرة ما خرج مجرد حروف ملعثمة مكررة

قطبت المعلمة حاجبيها وأعادت السؤال بصوتٍ أعلى ليزداد خجلي والتأتأة، اقتربت المعلمة بغضبٍ واضح وصرخت ظناً منها بأني أشاغب: احكي بشكل آدمي يا غبي!

حينها تفجر غضبي بشكلٍ أكبر لأتلعثم صارخاً باكياً شارحاً لها أنها طريقة كلامي فعلاً, أمام ذهول التلاميذ قبل أن تتعالى ضحكاتهم على كلماتي

فتشهق المعلمة بصدمة بعد معرفتها ما بي... لكن بعد فوات الأوان، أدركت حينها

أن العالم لا يرحم، لا يتقبل الاختلاف، أن تكون مختلفا عن المجتمع يعني أنك منبوذ منهم، محط سخرية أو شفقة أو اشمئزاز.

لم يكن ما أعاني منه يستحق أن تفعلوا بي هذا لأجله؟

ولم تكوني أنت مثقفة يا أمي، لكنك حنونة، حنونة مع الجميع إلا معي! لأني مختلف حتماً، لم تعلميني المواجهة ولا الثقة بالنفس، بل كنت تخجلين بي في كثيرٍ من الأوقات وتكتفين بكلمة (اصمت أنت) وأصمت أنا يا أمي، أصمت والسكاكين تخترق صدري لقسوة معاملتك لي

.

كثيراً ما كنت أعود من المدرسة متعرضاً للتنمر، محتاجاً لمن يحتويني، كنت أحتاج فقط لأن أنغرس داخل صدرك كي تحميني منهم... لكنك كذلك لم تحتوي ألمي.. ولم تحميني من أحد وكبرتُ يا أمي, صرتُ في عمر المراهقة, لكن روحي كانت تتملكها الشيخوخة فانزويت أكثر، انطويتُ أكثر على نفسي، وصرتُ فاشلاً في جميع جوانب حياتي...

قرأتُ ذات مرة... أن أغلب من هم في مثل حالتي ووضعي يتجاوزون تلك الحالة المزعجة بعد الابتدائية لكن ما عانيت منه بسبب جهلكم، صار عاهةً دائمة... لم أكتب هذه الرسالة كي أعاتب , لكن ولربما كي أبرر ما أنا مقدمٌ على فعله... بينما تقرأين تلك الكلمات سأكون أنا قد وضعتُ الخاتمة المناسبة لقصة حياتي... لا يهم الطريقة، لعلك ستدركينها حتماً بعد أيام أو ساعاتٍ ربما، لكن ما أنا متأكدٌ منه أن وجودي الآن بين يدي الخالق، أرحم مئة مرةٍ من تواجدي معكم في هذا المجتمعَ المريض.

فشكراً يا أمي...

شكراً على فشلي..

شكراً على ضياع ثقتي ومستقبلي.

وشكراً لأنكم تركتموني أموت بسلام..)

كتاب الحب

في بلاد ما وراء البحار، كان هنالك شاب معروف بعشقه لقراءة الكتب، تملكت ذات يوم فتاة من قلبه وصار يلاحقها ملقياً لها الأشعار كل حينٍ وحين، وبعد ملاحقتها لعدة أشهر تشجع وأوقفها قائلاً:

-أحبك.

استدارت الفتاة وفي ثغرها ابتسامة عتاب وقالت له :

-أثبت لي عن حبك... ولا تقل أحبك.

-وكيف ذلك؟ تسائل الشاب حينها، فعاجلته قائلة وهي تعرف نقطة ضعفه:

-أحضر لي الكتب

-سأحضر لكِ إذن عدداً من الكتب ما يماثل سنوات عمرك من الأسابيع.

ودارت الأيام وانطلق الشاب باحثاً عن الكتب حتى أحصى لها من الكتب ما يماثل عمرها من الأسابيع فعلاً، فبنى أضخم مكتبة داخل المدينة كتعبيرٍ لها عن حبه .

تسلمت الفتاة المفاتيح في سعادة عامرةٍ شاكرةً صدق مشاعره...

وبعد عدة أيام كان الشاب يتجول في المدينة وبعدها قرر زيارة حبيبته في جنتهما، وسار حتى اقترب من مكتبته العظيمة، فبهتت ملامحة حينما قرأ تلك اللافتة بخطٍ عريض....

"متجر لبيع الكتب"

هوية

أن تكون عارياً في بلادي... دليلٌ بعيدٌ جداً عن الخطيئة، فلا ضير أن ترى الأطفال دون السادسة مكتفون بالسراويل المهترئة، وحتى لو كانوا بلا نعال، فالنعال فقط لأولاد الأغنياء، لست هنا لأحكي قصة أجيالٍ من الجوع والفقر والحرمان بل أحكي قصة دهرٍ ووطنٍ سلب منه حتى حق الرداء فما بالك بالطعام والشراب والتعليم، أنا الأن أمامك يا سيدي... تراني بثوبي المهترئ الذي يظهر أكثر مما يخفي... فتاةٌ ذات تسعة أعوام تطالعك باستغراب حالها كحال جميع الأطفال الملتفون حولك، غريب أنت عنا، جئت مع رجالك تحملون آلات التصوير لالتقاط صور للمتخلفين، ولربما تبثونا على فضائياتكم كنبأٍ عاجل بعد أن توزعوا لنا الألعاب - ساعدوهم ياحماة الانسانية -

وأي ألعاب يحتاجها أطفال أبعد ما يكونون عن فهم معنى الطفولة يا سيدي... أمامك الآن .فتاة سوداء البشرة، شعرها أشعث، شبه حافية، شبه عارية تتقدم منك ببطئ وخوف

بعد أن ناديتها بابتسامةٍ مصطنعةٍ أمام عدسة الكاميرا، تظنني الآن شبيهة بهرّتك الأليفة سأغرغر تحت أقدامك في سبيل الحصول على اللعبة الجميلة المبهرجةِ التي بين يديك،

يظهر وجهك الأبيض جلياً أمامي.. ناصعاً كالمرمر الأبيض.. عالياً علوَّ الشمس.. شعرك أسود ناعم، تنتعل حذاءاً رياضيًا حتى أنصع من قدورنا... سألتني بحنوٍّ غريب: ما اسمك يا صغيرة؟

اسمي!

يا سيدي أنتَ في قريةٍ محذوفةٍ عن الخريطة، سكانها لا هوية لهم، جئت تسأل عن اسمي، دعك عن هذا الهراء.

انتهت ,,,,

دار أركان للنشر

انتاج

2019